

الانتصار للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية)

سهاد أحمد قنبر*

ملخص

دَوَّنَ علماءنا المتقدمون في الانتصار لكتاب الله ولم يدخروا وسعاً في دفع الشبهات والرد عن القرآن الكريم مما هو مبثوث في بطون كتبهم وعموم التراث الإسلامي، لكن هذه الجهود تحتاج إلى جمع، وإلى رباط ناظم يسهل على العاملين في الانتصار لكتاب الله الإفادة منها، وهذا سيتبعه العمل على وضع أصول وقواعد للمشغلين في دفع المطاعن عن كتاب الله، ومن هنا جاء هذا البحث محاولاً وضع أطر منهجية للانتصار لكتاب الله عن طريق ضبط مصطلح الانتصار للقرآن الكريم والوقوف على مفهوميته، ومشروعياته، وأهميته، وتاريخه، وطرق مقترحة لاستنباط قواعده. كما أن هذا البحث يهدف إلى الوقوف على ماهية العلاقة بين الانتصار للقرآن وعلم الكلام بجامع أن كليهما علم دفاعي، هدفه تحصين الأمة. ويعد هذا البحث خطوة أولى على طريق التأصيل تتبعه خطوات قادمة بإذن الله. الكلمات الدالة: قرآن كريم، الانتصار، دفع المطاعن.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. معلوم أن هذا العصر هو عصر التكالب على كتاب المسلمين بلا منازع، فقد حشد أعداء هذه الأمة طاقاتهم للطعن فيه لأنه مصدر قوة المسلمين ووحدتهم. ولم يدخر الطاعنون وسيلة إلا استخدموها للتشكيك في ريبانية مصدره، ووثيقة جمعه ونقله، أو الإلحاد في تأويله، أو ادعاء تاريخيته⁽¹⁾، وغيرها من الشبهات. والمطاعن التي تثار حول كتاب الله ليست وليدة القرن المنصرم من الزمان، فقد تزامنت الشبهات المثارة على كتاب الله مع نزوله، وقد نقل القرآن لنا هذه المطاعن وردودها، ولم يدخر سلف الأمة وخلفها وسعاً في الدفاع عن كتابهم. إلا أن خطورة الطعن في كتاب الله في وقتنا الحاضر أشد لأسباب عدة منها:

1- المؤسسة والتنظيم العالي لجهات الطعن والتنسيق بينها.

* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان. تاريخ استلام البحث 2013/12/3، وتاريخ قبوله 2014/2/23.

- 2- الضعف الشديد الذي منبت به الأمة بعد سقوط الخلافة.
- 3- تغريب التعليم الذي أفضى إلى ضعف في الكفاءات العلمية المعنية بالانتصار لكتاب الله.
- 4- الاغتراب الفكري وهذا بدوره أدى إلى هشاشة في الهوية الإسلامية وضعف في الانتماء.
- 5- الفرق الكمي بين مؤلفات الطاعنين ونشاطاتهم وبين الردود عليهم؛ فعلى سبيل المثال ذكر الدكتور أكرم ضياء العمري في مقالة له أن أوروبا وحدها أصدرت بين 1800م و1950م ستين ألف كتاب عن الإسلام بلغات متعددة؛ أي بمعدل كتاب كل يوم، وفي أمريكا وحدها يوجد خمسون مركزاً مختصاً بالعالم الإسلامي، ويصدر المستشرقون الآن ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات، وعقدوا خلال القرن المنصرم ثلاثين مؤتمراً دولياً عدا المؤتمرات الإقليمية والندوات⁽²⁾.
- إذا قارنا هذه النتائج بالدراسات النقدية للاستشراق سنجد فرقاً كبيراً كمّاً ونوعاً؛ فبحسب الحصر الوراقي الذي أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية للدكتور علي النملة بلغت هذه الدراسات قرابة ألفي وعاء، ويعتقد الدكتور أنه سيزيد فيها حتى تبلغ الثلاثة آلاف⁽³⁾، أي أن النسبة هي واحد إلى عشرين وهذا ما عنيت به بالفرق الكمي. هذا الخطر المتعاظم لجهات الطعن جعل من غير المجدي أن يبقى الانتصار لكتاب الله ارتجالياً أو حتى فردياً يفقر

القرون كيف كانت وكيف صارت وكيف ستؤول؛ وهذا يعني دراسة النشأة والتطور والمآل وهو ما يسمى الدراسات التطورية، ثم تصنيف النتائج وتوثيقها وعرضها بما يتناسب مع مباحث ومطالب البحث.

- لم يخل البحث من استثمار للمنهج التحليلي والنقدي والاستنباطي في كافة مواضعه.

الدراسات السابقة

لم أجد إلا بحثاً واحداً نشرته الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان) في عددها الثالث عشر للدكتور عبد الرحيم الشريف بعنوان (علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه بين مباحث علوم القرآن) عرّف فيه الانتصار، وعرض لمحة تاريخية عن الانتصار للقرآن من الشبهات المثارة حوله، ثم عرج على موقع علم الانتصار للقرآن الكريم في كتب علوم القرآن الكريم المطبوعة.

وبالرغم من أن الباحث له قصب السبق في إلقاء الضوء على الحاجة الملحة للاعتراف بالانتصار للقرآن كعلم مستقل، والحث على اجتماع المختصين لوضع قواعد وأصول هذا العلم إلا أن الباحث ضيق مفهوم الانتصار وجعله مقتصرًا على دفع المطاعن وردود الشبهات، وارتأى أن يحتل الانتصار مكانه بين مباحث علوم القرآن وانطلق من هذه المسئلة في بحثه، والبحث التاريخي للانتصار عند سلف الأمة يثبت أن مفهوم الانتصار أوسع بكثير من هذا؛ فهو يتناول جانباً بنائياً وهو كل إجراء احترازي يهدف إلى حفظ كتاب الله من ناحية الوجود، وجانباً هدمياً وهو تفنيد الشبهات والمطاعن على كتاب الله ودفعها وهذا يجعل العناية بعلوم القرآن هي إحدى آليات الانتصار⁽⁴⁾.

والحق أن علم الانتصار يشبه علم التفسير من ناحية أنه علوم كثيرة وليس علماً واحداً ولعل هذا يكون السبب في تأخر التقعيد له كما تأخر التقعيد لعلم التفسير.

خطة البحث

جاء البحث في أربعة مباحث إضافة إلى المبحث التمهيدي على النحو الآتي:

المبحث التمهيدي: تعريف علم الانتصار للقرآن الكريم.

المبحث الأول: أهمية الانتصار للقرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أهمية الانتصار للقرآن الكريم في حفظ القرآن.

- المطلب الثاني: أهمية الانتصار للقرآن الكريم في حماية

للتنظيم والمنهجية. وأول طريق التنظيم والمنهجية في الانتصار لكتاب الله هو التأصيل والتقعيد له وهذا لا يتم دون الاعتراف به علماً ضرورياً تفرضه الحاجة المرحلية.

ولعل ما فضل به المتقدمون من هذه الأمة على المتأخرين هو السرعة في الاستجابة لتحديات عصرهم إضافة للانسجام المنقطع النظير بين التطوير والتطبيق، وقد كان السلف كلما حزبهم أمر فزعوا إلى التأصيل، وما ذلك إلا لعلمهم بأن التأصيل عصمة.

ما سبق ذكره يوضح أهمية هذا البحث؛ وهي حاجة الواقع إلى وضع رؤية منهجية لعلم الانتصار للقرآن الكريم.

مشكلة البحث

يتناول هذا البحث بعض الأسس النظرية لعلم الانتصار ويهدف إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما علم الانتصار؟ وما مشروعيته؟
- ما أهمية علم الانتصار؟ وما أهمية وضع أصول وضوابط لهذا العلم؟
- ما المصادر المعرفية والأسس المنهجية لهذه الأصول والضوابط؟
- ما القضايا التي ينبغي أن يتفق عليها أهل التخصص حتى يتبوأ هذا العلم المكانة التي يستحقها بين العلوم؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

- ضبط مصطلح الانتصار للقرآن الكريم، وتعريف علم الانتصار.
- التعرف على مشروعية الانتصار.
- الوقوف على أهمية الانتصار للقرآن الكريم.
- بيان أهمية التأصيل والتقعيد لعلم الانتصار.
- بيان بعض القضايا على طريق التأصيل التي ينبغي الاتفاق عليها من المتخصصين في الدراسات القرآنية.

منهج الدراسة

- المنهج الوصفي القائم على الاستقراء للوقوف على معنى الانتصار في اللغة، ومشروعيته من الكتاب والسنة.
- المنهج التوثيقي التاريخي: القائم على جمع المادة العلمية باستقراءها من مظانها، ثم القيام بعملية استردادية للتراث تهدف إلى رسم ملامحه وحقائقه، وذلك عبر دراستين إحداها سكونية وهي وصف عملية الانتصار للقرآن عبر حقبة معينة في التاريخ، والدراسة الثانية تكون بالنظر إلى عملية الانتصار عبر

المسلمين من الشبه المثارة حول القرآن.

- المطلب الثالث: أهمية الانتصار للقرآن الكريم في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: مشروعية الانتصار للقرآن في القرآن، وفي السنة، وفي عمل الصحابة، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الانتصار للقرآن في القرآن.

- المطلب الثاني: الانتصار للقرآن في السنة.

- المطلب الثالث: الانتصار للقرآن الكريم في عصر الصحابة.

المبحث الثالث: أهمية التأصيل للانتصار وطرقه المنهجية، ومراحله، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أهمية التأصيل والتقعيد للانتصار للقرآن الكريم.

- المطلب الثاني: الطرق المنهجية والعلوم اللازمة المقترحة للتأصيل للانتصار للقرآن الكريم.

- المطلب الثالث: مراحل التأصيل المنهجي.

المبحث الرابع: العلاقة بين علم الانتصار وعلم الكلام ومسوغات الفصل بينهما، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الحمولة المعرفية لعلم الكلام.

- المطلب الثاني: الدعوة إلى تجديد علم الكلام أو الدعوة إلى إنشاء علم كلام جديد.

- المطلب الثالث: مسوغات الفصل بين علم الكلام وعلم الانتصار للقرآن الكريم.

الخاتمة وأهم التوصيات.

المبحث التمهيدي: تعريف علم الانتصار للقرآن الكريم: الانتصار في اللغة

الانتصار من النصر وهو عون المظلوم، والأنصار جماعة الناصر وأعدائه، وانتصر الرجل: انتقم من ظالمه، والنصير والناصر واحد، يقول تعالى: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الأنفال: 40). والنصرة حسن المعونة يقول تعالى: (مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) (الحج، 15) ونصر الغيث البلاد أرواها⁽⁵⁾، والنصر التأييد وهو ضد الخذلان⁽⁶⁾.

والنون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين آتاهم الظفر على عدوهم، ونصرهم نصراً، وانتصر: انتقم، وأما الإتيان فالعرب تقول نصرت بكذا إذا أتيت به ولذلك يسمى المطر نصراً، والنصر العطاء⁽⁷⁾، والانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام، وانتصر منه انتقم⁽⁸⁾.

نصر المظلوم نصراً و نصوراً: أعانه، ونصر الغيث الأرض: عمها بالجود، ونصره منه: نجاه وخلصه وهو ناصر ونصير، والاستنصار استمداد النصر وسؤاله⁽⁹⁾.

وقيل النصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر، وتعدية نصر بمن لتضمنه الحفظ، ويعلى لتضمنه الغلبة، وانتصر مزيد من نصر للمبالغة، وقوله تعالى: (... ولو يشاء الله لانتصر منهم..) (محمد، 4)، عُدِي بمن ولم يُعَدَّ بعلى لتضمنه معنى الانتقام. وأُتِيَ بحرف (في) في قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر، 51) تنبيهاً على دوام النصر في الآخرة، والدنيا دار ابتلاء وكل ما هو حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر، ونصرة الظالم منعه من الظلم⁽¹⁰⁾.

نصر المظلوم ينصره نصراً ونصوراً ونصرة: أعانه على عدوه وشد منه، ومن المجاز نصر الغيث الأرض نصراً: غاثها وسقاها، نصره منه: نجاه وخلصه، والنصرة بالضم حسن المعونة، وانتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه⁽¹¹⁾.

والنقولات المطولة السابقة من المعاجم تطلعن على معاني النصر في اللغة والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- يأتي النصر بمعنى التأييد والمعونة وفيه معنى العطاء، أو بمعنى أخص وهو حسن المعونة، أو معنى أكثر تخصيصاً وهو المعونة لدفع الضر وفيه معنى الحفظ.

- والنصر مطلق الإتيان، وأخص منه إتيان خير وإيتاؤه.

- والنصر الظفر والغلبة⁽¹²⁾.

والانتصار من انتصر على وزن افتعل وهو فعل مزيد من معانيه المبالغة؛ أي انتصر بالغ في النصرة. فالانتصار لغة هو كل معاني النصر السابقة مضافاً لها:

-الامتناع من الظالم، والانتصاف والانتقام، وأخص منه الانتقام.

- انتصر له: انتصف.

- انتصر منه: انتقم.

بالنظر لمعاني الانتصار اللغوية ومظاهر الانتصار للقرآن الكريم عند المتقدمين خلصت إلى التعريف التالي للانتصار:

* تعريف الانتصار للقرآن الكريم: هو العلم بالشبهات المثارة على كتاب الله وبذل الوسع في دفعها بجمله من العلوم والوسائل العقلية والنقلية والمادية.

شرح التعريف

- العلم بالشبهات: وهذا الشرط في التعريف من المعلوم بالضرورة فلا يرد على أحد كلامه قبل معرفته وفهمه.

- بذل الوسع في دفعها: لأن الوسع يختلف من منتصر إلى

آخر بحسب قدراته وبحسب موقعه العلمي، وذلك عملاً بقاعدة: ما لا يدرك كله لا يترك جله، أو كما قيل الميسور لا يسقط بالمعسور.

- جملة من العلوم والوسائل العقلية و النقلية والمادية: وهذا ثبت بالاستقراء؛ فالانتصار يحتاج جملة من العلوم مثل علم الإعجاز وعلم مقارنة الأديان، وعلم الحجاج، وعلم الكلام وغيرها...، كما أن الانتصار يجمع بين الوسائل العقلية مثل المنطق، والأدلة النقلية من كتاب وسنة ولغة، ويحتاج الانتصار كذلك إلى إجراءات مادية مثل الأخذ على يد الطاعن أو الإعراض عن مجالسته أو تمويل مؤسسات تعمل في الانتصار وما إلى ذلك.

ولما كان من مقاصد هذا البحث كما ذكرت في المقدمة الدعوة إلى علم نظري يضبط عملية الانتصار فقد ارتأيت التفريق بين تعريف الانتصار وعلم الانتصار على اعتبار أن الانتصار للقرآن هو الجانب الإجرائي العملي وعلم الانتصار هو الجانب النظري، ويمكن تعريف علم الانتصار للقرآن الكريم بأنه: (علم باحث في تحصيل القدرة على حفظ كتاب الله من الشبهات المثارة حوله).

وهذا تعريف راعي الغاية من وجود علم الانتصار، فكل مباحث علم الانتصار ترمي إلى زيادة كفاءة المنتصر في الدفاع عن كتاب الله وحفظه من أعدائه، والارتقاء بعملية الانتصار.

وقولنا (حفظ كتاب الله) ليشمل جانبي الانتصار الجانب البنائي والجانب الهدمي، والجانب البنائي هو الذي يعنى بحفظ كتاب الله من ناحية وجوده ابتداءً مثل الجمع والنقط والشكل فهذا من الانتصار والعناية بالعلوم الخادمة لكتاب الله، والجانب الهدمي وهو المعنى بحفظ كتاب الله من أن يطرأ عليه التحريف والتبديل وسوء التأويل ويكون بالرد على الشبهات المثارة على كتاب الله وتقنيدها.

المبحث الأول: أهمية الانتصار للقرآن الكريم

يعد الانتصار لكتاب الله من أهم مسائل حفظ الدين لأن القرآن أصل الدين، ومصدر التشريع. ومعلوم أن حفظ الدين هو مقصد التشريع الأسمى الذي تدور حوله حقيقة الوجود الإنساني؛ فالإنسان ما خلق إلا ليكون عابداً لله، يقول تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: 56)، ولهذا جعل علماء المقاصد حفظ الدين أعلى الضرورات الخمس⁽¹³⁾.

وقد جعل الشاطبي تكاليف الشريعة بأكملها تدور حول حفظ الدين، وهذا الحفظ يكون بأمرين:

- الأول يقيم أركان الدين ويثبت قواعده؛ وذلك بمراعاة

الدين من جانب الوجود بما يكفل قيامه وثباته.

- والثاني ما يدرأ عنه الاختلال الواقع أو المتوقع فيه وذلك بمراعاة الدين فلا يطرأ عليه التحريف⁽¹⁴⁾.

والدين ليس الوحي الإلهي فقط بما فيه من معتقدات وفروض؛ بل يشمل كذلك التدين بمعنى تحمل هذه المعتقدات بالتصديق والتطبيق من المكلفين؛ وعليه فإن حفظ الدين هو حفظ للمعتقدات النظرية والتكاليف العملية، وحفظ لتحملها⁽¹⁵⁾. ويسهم الانتصار في حفظ الدين؛ سواء من ناحية حفظه للقرآن، أو من ناحية حفظه للتدين المسلمين وذلك بحمايتهم من الشبهات، أو من ناحية حفظ الدين من حيث تبليغه على حقيقته.

المطلب الأول: أهمية الانتصار في حفظ القرآن الكريم

منذ نزول القرآن تعهد الله بحفظه من التحريف والتبديل، يقول تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: 90) ومن أسباب الحفظ أن جعل الله جهود الأمة تتجه لحفظه، وتتوافر دواعيها للدفاع عنه. ويعد الانتصار لكتاب الله من هذه الجهود التي بذلتها الأمة لحفظ كتابها من ناحية الوجود، ومن ناحية أن لا يطرأ عليه التحريف⁽¹⁶⁾.

أما من ناحية الوجود فقد أسهمت سنة التدافع بين الحق والباطل في تثبيت الحق وظهوره وعلوه؛ وأدى خوف المسلمين على كتابهم من الشبهات أن تغطي عليه أو تذهب به إلى بذل الوسع في حمايته والدفاع عنه، وهذا دفع بهم للاهتمام بالعلوم الخادمة للقرآن مثل علم الإعجاز البياني، وعلم المصطلح، والمشكل، وجمع القرآن، ونقطه، وشكله، وقواعد التفسير، وغيرها.

وتعد جميع العلوم التأصيلية التي خرجت من رحم التدافع بين الحق والباطل هي حفظ لوثاقة النص القرآني فلا يطرأ عليه تحريف ولا تبديل، وهي حفظ لفهمه فلا يلحد في تأويله، وهي حفظ لحقيقة ربانية مصدره .

والناحية الثانية التي تتجلى فيها أهمية الانتصار هي حفظ القرآن من الشبهات المثارة حوله، ويظهر هذا الحفظ في عدة مناحي هي:

- أدّى الانتصار إلى حركة علمية بين المسلمين، وقد أسهمت هذه الحركة العلمية في إنضاج علوم عدة مثل علم الحجاج والمناظرة، وعلم الكلام، وعلم المنطق البرهاني، وعلم مقارنة الأديان وغيرها.

- استثمر المسلمون في سبيل دفع المطاعن عن القرآن هذه العلوم، وكتبوا في الردود والنقض وأجوبة المسائل.

- كان لهذه الحركة العلمية عظيم الأثر في حفظ كتاب الله من

شبهات الزنادقة والفلاسفة والمبتدعة والفرق المنحرفة.

- خَلَفَ المسلمون المتقدمون وراءهم ثروة علمية هائلة في دفع الشبهات، هذه الثروة مازال بالإمكان استثمارها في حفظ كتاب الله من الشبهات المثارة حوله في الوقت الحاضر على الصعيد المنهجي، وعلى صعيد الأدوات والطرق والمعلومات⁽¹⁷⁾.

المطلب الثاني: أهمية الانتصار في حماية المسلمين من آثار الشبه المثارة حول القرآن الكريم

إن الحديث عن حماية المسلمين من الشبه المثارة على القرآن يعني حماية المسلمين كأفراد، ويعني حماية المسلمين بوصفهم المجتمع الإسلامي.

ويسهم الانتصار للقرآن في حماية الفرد المسلم، والمجتمع المسلم من عدة غوائل تتهددهما بسبب الشبهات المثارة على كتاب الله، وهذه الغوائل هي:

1- الانحراف العقدي والفكري

يفضي الطعن في كتاب الله إلى انحرافات عقدية وفكرية كبيرة؛ وذلك بسبب التحريف الذي يمكن أن يتسبب به الطعن؛ فكل تشكيك في القرآن، وكل تأويل له منفك عن الضوابط يعطل المعنى أو يخرج عن مراد الله، وهذا يؤدي إلى تحريف الأحكام، ويؤدي إلى ضياع في الدين جزئي أو كلي. ويسهم الانتصار في حفظ الدين من التحريف، وحفظ المسلمين من الانحراف لما فيه من البيان للحق ودفع للباطل.

ولحماية المسلمين من الانحراف جاء الأمر بالإعراض عن الطاعنين، ففي الإعراض عن مجالسة الطاعنين ردع لهم عن طعنهم لما فيه من إقصاء اجتماعي لهم، يقول تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) (النساء: 140)

2- الإرهاب الفكري

قد تأتي المطاعن في كتاب الله على هيئة إرهاب واستبداد فكري، والاستبداد الفكري ينتج عن سيطرة جهات الطعن على مراكز صنع القرار في العالم، ويتخذ الإرهاب الفكري أشكالاً قانونية عدة، أو سياسية، أو إعلامية، أو اجتماعية.

ومن الإرهاب الفكري أن يلحد مجتمع بتأويل آيات التعدد أو الطلاق لرفضه للتعدد والطلاق، أو يلحد في آيات الجهاد بسبب ضغوط النظام العالمي، أو يتم التشكيك في المصدر الرباني للقرآن لطغيان المادية التجريبية على العالم.

وعادة ما تهدد غائلة الإرهاب الفكري المجتمع الإسلامي عندما يكون في أضعف حالاته السياسية والعسكرية فتتكالب

عليه المطاعن كما تتكالب عليه الأمم.

ويسهم الانتصار للقرآن في دفع الإرهاب الفكري بتقوية الحق وبيان تهافت الباطل وإن بدا قوياً، وهذا يعين المسلمين على زيادة الثقة بكتابهم وتعاليم دينهم.

3- الإرجاف الفكري

يسبب الطعن في كتاب الله الاضطراب في المجتمع المسلم، وسواء كانت جهة الطعن جماعية أو فردية، من داخل الجماعة المسلمة أم من خارجها فهي تؤدي إلى زعزعة ثقة العوام بثوابتهم.

وقد توعده الله المرجفين بالعقوبة الدنيوية والأخروية يقول تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُحْذُوا وَقُتِلُوا قَتْلًا، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (الأحزاب: 60-62).

والانتصار يثبت وينصر عباد الله المؤمنين، وترك الانتصار خذلان لهم وتقوية لعدوهم.

4- تصدع المجتمع الإسلامي

إن من أهم عوامل التناغم والانسجام في أي مجتمع هو الوحدة الفكرية، وهذه الوحدة هي نتيجة لوحدة الرؤية والهدف والرسالة.

ويعد العامل الرئيس لتحقيق الوحدة الفكرية في المجتمع الإسلامي هو الرباط العقدي والمستند بصورة أساسية على كتاب الله؛ وعليه فكل طعن في كتاب الله يحمل تهديداً لوحدة الأمة.

وتتجلى أهمية الانتصار للقرآن في رأب صدع المجتمع و المحافظة على وحدته الفكرية والعقدية بمدافعته للانحراف العقدي والفكري، والإرهاب الفكري، والإرجاف الفكري.

المطلب الثالث: أهمية الانتصار في الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله من مقاصد التشريع لأن تبليغ الدين على حقيقته للآخرين هو من مسالك حفظه، والنظر في هدف النبوات عموماً، ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام تحديداً يطلعنا على مدى أهمية الدعوة إلى الله. فالله تعالى لم يبعث رسله وأنبياءه، ولم ينزل على الناس كتبه إلا لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولتحقيق هذا الهدف أوجب الله على المسلمين الدعوة إلى دينه.

وحض القرآن في مواقع كثيرة على القيام بواجب الدعوة المتمثل بالبيان والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: 104)، وقوله: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ

الكريم هو التشكيك في المصدر الرباني لكتاب الله، وتعددت طرقهم في ذلك كالتالي:

1- ادعاء القدرة على معارضته: فجاء الانتصار من شبهتهم بأن أقام الحجة عليهم بآيات التحدي وأظهر عجزهم عن معارضة القرآن، وجاءت آيات التحدي في عشر سور وهي البقرة، آل عمران، الأعراف، الأنفال، التوبة، يونس، هود، القصص، الإسراء، الطور، وهذا التحدي لهم على مراتب:

أولها: تحداهم بأن يأتوا بكتاب هو أهدى من كتب الله المنزل، قال تعالى: (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَنْتِغِيهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (القصص: 49)، ومرجع الضمير في (منهما) في الآية إلى التوراة والقرآن⁽¹⁹⁾.

وثانيها: تحداهم بأن يأتوا بمثله إن عجزوا عن الإتيان بأهدى منه، قال تعالى: (قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: 88)، وقال تعالى: (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (الطور: 34).

وثالثها: تحداهم بعد عجزهم بأن يأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ وغيرها من وجوه إعجازه، فإن عجزوا عن عشر سور مفتريات فقد وجب عليهم التسليم أن القرآن منزل من الله، قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (هود: 13).

ورابعها: تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (يونس: 38).

وخامسها: تحداهم بعد عجزهم عن الإتيان بسورة واحدة مثله أن يأتوا بسورة قريبة منه وهذا نهاية التحدي وإزالة العذر، قال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: 23).

2- التشكيك في مضمون القرآن: ومثاله تشكيكهم بقضية البعث، يقول تعالى مخبراً عن طعنهم في ما جاء به القرآن من قضية بعث الله لمن في القبور: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) (سبأ: 7)، ويقول تعالى: (وَإِذَا تَنَلَّيْتُمْ عَلَيْهِنَّ آيَاتُنَا بِبَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الجاثية: 25). ورد عليهم القرآن الكريم هذا التشكيك بأدلة كثيرة⁽²⁰⁾.

3- الطعن في شخص المبلغ للقرآن الكريم، وهو شخص النبي عليه الصلاة والسلام: والطعن في النبي عليه الصلاة والسلام هو تشكيك في مصدر القرآن وإنكار لربانيته، وقد ذكر

أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى: 15).

ولأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ فقد أوجب الله على الأمة إزالة العوائق التي يمكن أن تعترض الدعوة إلى الله، وهذه العوائق قد تكون مادية، وقد تكون فكرية. ومن طرق إزالة العوائق المادية في وجه الدعوة الأمر بالقتال، فما فرض الله الجهاد أصلاً إلا للتخلية بين الناس والتوحيد. ومن طرق إزالة العوائق الفكرية في وجه الدعوة القيام بواجب الانتصار للقرآن الكريم؛ فالانتصار للقرآن الكريم يحصن الداعي، ويخلي ذهن المدعو.

فكل دعوة لله تحمل هدماً لمذاهب وضعية إلحادية، وتقنياداً لأفكار وشبهات، وبياناً لفساد أديان محرفة آمن بها المدعو، وهذه كلها مخاطر تحقيق بالدعاية المؤمن وتجعله عرضة للشك والحيرة، ومن هنا تكون الحاجة ملحة للانتصار بجانبه الهدي والبنائي⁽¹⁸⁾ وذلك لتحقيق الحصانة الفكرية للداعي.

ويسهم الانتصار كذلك في تخلية فكر المدعو مما يشوبه قبل تحليلته؛ فالمدعو إلى الله تتجاذبه أمور عدة تمنعه من الاستجابة لداعي الله منها الشك في مصدر القرآن وأنه منزل من الله، والاضطراب لعدم تمكنه في زعمه من التأكد من وثاقة النص القرآني وسلامته من التغير زيادة ونقصاً على مر السنين، والتردد في أفضلية تعاليم القرآن على غيره من الأديان والمذاهب، وعدم الوثوق في صلاح الدين الإسلامي وشموله وكفاية تشريعاته لكل زمان ومكان.

ولأن الانتصار للقرآن الكريم من البيان فهو يسهم في إزالة كل العوائق الفكرية عند المدعو، ويذهب ما به من حيرة واضطراب وشك، فيصبح جاهزاً لتلقي دعوة الله، ويصبح حاله كالأرض هياها صاحبها للزراعة بأن قلبها وحرثها واقتلع ما فيها من أشواك ونباتات طفيلية ضارة، فتهيأت لقبول البذور الجديدة.

المبحث الثاني: مشروعية الانتصار من القرآن والسنة وعمل الصحابة

يستمد الانتصار للقرآن الكريم مشروعيته من وجوده الفعلي في القرآن والسنة وفي عمل الصحابة.

المطلب الأول: الانتصار للقرآن في القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم لكل ما أثير حوله من شبهات وقت تنزله بكل وضوح وإنصاف، وتولى الدفاع عن نفسه بنفسه، وجادل المكذبين والطاعنين، ورد الشبهات ونقضها.

وأكثر ما خاض فيه المكذبون المعاصرون لنزول القرآن

سحر وليس بحقيقة، وذلك لأن دافعهم في الطلب ليس الوصول للحق بل حجج واهية يسوغون بها كفرهم وعنادهم، يقول تعالى: (وَلَوْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) (الأنعام: 7).

ومن المطاعن التي أثارها الكفار كذلك قضية النزول المفروق، فرد عليهم القرآن هذا بذكر علة نزوله مفروقاً بقوله تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍّ وَنُزْلَانًا تَنْزِيلًا) (الإسراء: 106)، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (الفرقان: 32).

ومن الطعن في كتاب الله الإلحاد في التأويل واتباع المتشابه، يقول تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (آل عمران: 7).

واتباع المتشابه ابتغاء الإلحاد في التأويل لم يُذكر كثيراً في القرآن، لأن التأويل هو اعتراف ضمني بكتاب الله، وهذا مالا يريده الطاعنون في زمن التنزيل، إضافة لاستحالة الإلحاد في التأويل لوجود مرجعية التأويل بين ظهرانيهم ألا وهي شخص النبي عليه الصلاة والسلام؛ لهذا كانت المطاعن تدور حول التشكيك في مصدر القرآن، ولم يغادر القرآن مطعناً واحداً لمعاصريه وقت تنزله لم يذكره ولا نبالغ إن قلنا إنه لا تكاد تخلو سورة من مطعن؛ اللهم إلا استثناءات قليلة، ولهذا حفل كتاب الله بالردود على هذه المطاعن.

وقد كتب الأولون في منهج القرآن في الرد على المطاعن وفي سوق الأدلة والبراهين وإقامة الحجة على المكذبين الضالين، وأفرده نجم الدين الطوفي⁽²¹⁾ بالتأليف، واستقر هذا العلم كجزء من علوم القرآن تحت مسميات عدة منها جدل القرآن⁽²²⁾، أو حجج القرآن الكريم⁽²³⁾، أو نظام الإقناع القرآني⁽²⁴⁾.

وكان الانتصار لكتاب الله في القرآن يسير وفق منهج دقيق اتسم بالسهولة والوضوح واليسر والبعد عن تعقيدات المتكلمين والمناطقية، وجمع القرآن بين الأدلة العقلية والعاطفية، وبين الترغيب والترهيب، إضافة إلى تناسب الانتصار مع حال الطاعن فلم تكن طريقة الانتصار من مطاعن المشركين هي نفسها التي استُخدمت مع المنافقين أو مع أهل الكتاب.

المطلب الثاني: الانتصار للقرآن في السنة

لم يختلف منهج الانتصار في السنة عن منهجه في القرآن فقد اتسم منهج الانتصار بالبساطة والوضوح ومراعاة حال الطاعن؛ فالمشركون يكفيهم إعجاز القرآن البياني للرد على

القرآن في مواضع عدة شبهاتهم المتعددة فتارة يعترضون على بشرية النبي عليه الصلاة والسلام: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ) (الأنعام: 8).

وتارة أخرى يتعجبون من نزول القرآن على شخص عادي لا يميز عنهم في شيء، ويدفعهم هذا إلى المطالبة بأن ينتزل القرآن على من هو أغنى منه: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) (يونس: 2)، (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ) (الزخرف: 31).

ويبلغ التعنت من الكفار مبلغه فيعطلون عقولهم ويتناسون سيرة محمد عليه الصلاة والسلام بينهم قبل الرسالة، ويتهمونهم بالافتراء والكذب، ويتهمونهم باستنساب القرآن من علوم الأولين وأساطيرهم: (وَقَالُوا أَأُطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَتْهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفرقان: 5).

ويسجل القرآن تخبطهم في مزاعمهم، فالنبي عليه الصلاة والسلام عندهم شاعر، أو ساحر أو مجنون، أو ثلاثتهم لكنه ليس رسولاً موحى إليه من ربه، والقرآن سحر وشعر وأساطير ولكنه ليس كلام الله، قال تعالى مخبراً عنهم: (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) (الأنبياء: 5).

(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَبُّبِ الْمُنُونِ) (الطور: 30)، (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (ص: 4)، (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (الصافات: 36).

4- التشكيك في طريقة تنزل القرآن: فقد اعترض اليهود على طريقة تنزل القرآن شفاهة، وسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون تنزل القرآن كتاباً واحداً ينزل عليهم فيعابونه، وقد رد عليهم القرآن بإثبات تعنتهم بأنهم ضلوا بعد مجيء موسى بالألواح ومعابنتهم لها؛ وذلك بأن سألوا موسى رؤية الله جهرة، وبعد وقوع العقاب عليهم بالصاعقة التي أخذتهم عبدوا العجل فما كانت معاناة كتاب من السماء سبباً في إيمانهم من قبل فلم تكون الآن؟

يقول تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا) (النساء: 153).

ويبدو أن سؤال أهل الكتاب وتعنتهم في طلب كتاب من السماء كان مما أثاره الكفار في مكة، فقرر القرآن حقيقة أن التعنت سيبلغ منهم إنكار ما يرونه رأي العين وسيقولون هذا

تشكيكهم في مصدره وهم العرب الأفحاح، أهل الفصاحة والبلغة.

وقصة عتبة بن ربيعة مشهورة في كتب السيرة، وهو الذي أتى النبي عليه الصلاة والسلام مشككاً فما كان من النبي إلا أن تلا عليه آيات من سورة فصلت فلما وصل إلى قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت: 13) أمسك عتبة بفمه وناشده الله والرحم أن يكف، وعاد إلى قومه محذراً يقول لهم: (والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، فأطيعوني في هذه وأنزلوها بي خلوا محمداً واعتزلوه فوالله ليكونن لما سمعت من قوله نبأ، فإن أصابته العرب فقد كفيتموه بأيدي غيركم، وإن كان ملكاً أو نبياً كنتم أسعد الناس به لأن ملكه ملككم، وعزه عزكم، وشرفه شرفكم...) (25).

أما الانتصار من أهل الكتاب فإن إيمانهم بالنبوات عموماً جعل النبي عليه الصلاة والسلام ينتصر من طعنهم في مصدر القرآن بآيات مختلفة عن الانتصار من مشركي العرب ومن هذه الآيات:

1- التأكيد على عمق الرابطة بينه وبين الأنبياء ومن هذا نهيه عليه الصلاة والسلام أن يفضلوه على نبي الله موسى، وحثه على صوم عاشوراء، وهذه الرابطة طريق لدعوة أهل الكتاب للتصديق بنبوته والكتاب السماوي الذي أتى به، فأهل الكتاب مؤمنون بالنبوات عموماً.

2- رواية الرسول لقصاصهم من تراثهم كقصة الأبرص والأعمى والأقرع (26) وغيرها من القصص، والإجابة على مسألتهم في الغيبات مما جاء في كتابهم وهذا من دلائل نبوته عليه السلام وهو الأمل الذي لم يقرأ كتاباً من قبل.

3- التأكيد على طباع أهل الكتاب في التحريف والتبديل وإيذاء الأنبياء (27).

4- التأكيد على مرجعية القرآن وبطلان مرجعية كتبهم بعد البعثة؛ وقد كان اليهود قبل الإسلام يحدثون العرب من كتبهم فلا يجدون لهم معارضاً فالعرب أمة أمية لا كتاب لها، إلا أن هذا الوضع تغير بعد مقدم النبي إذ بالرغم من وحدة دعوة النبوات، وبالرغم من التوافق النسبي بين القرآن والكتب السابقة والذي كان يثير إعجاب الصحابة وفضولهم إلا أن المرجعية منذ الآن فصاعداً هي لكتاب الله، وقد روى عن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: جاء خبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع و الأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله، ثم قال النبي صلى الله عليه

وسلم: (وما قدروا الله حق قدره - إلى - قوله يشركون) (28). وتلاوة الرسول للآية إرشاد للمؤمنين أنه لا مرجعية بعد البعثة إلا للقرآن وضحك النبي عليه الصلاة والسلام هو لتخليط اليهود وتحريفهم، وإن كلمة تصديقاً وهم وزيادة من الراوي لا سيما أن هناك روايات بدون هذه الزيادة (29).

وعن أبي هريرة قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل - الآية (30)، وهذا النهي حتى لا يكذب كتاب الله في حال صدقوا مرة في الإخبار عن الذي في كتبهم وإن كان الكذب بالعموم خصيصاً لهم، وقد حدث معاوية رهطاً من قريش عن كعب الأبحار فقال: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا - مع ذلك - لنبلو عليه الكذب" (31).

5- دفع مطاعنهم عن كتاب الله؛ ومثاله حديث المغيرة بن شعبة: "لما قدمت نجران سألتني فقالوا: إنكم تقرأون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله (سألتني عن ذلك فقال: إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم" (32).

6- الحرص على حوار أهل الكتاب، وغشيان مجالسهم وأماكن مدارسهم لكتبهم المقدسة، ولم يكن عليه الصلاة والسلام يجد حرجاً في أن يستنفر المسلمين ليخرجوا معه إلى الأماكن التي يتلقى فيها اليهود علومهم ليبلغهم ويدعوهم.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس (33)، فقام النبي فناداهم: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا. فقالوا بلغت يا أبا القاسم. فقال ذلك أريد. ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. ثم قال الثالثة فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله" (34).

إضافة لما سبق كان الرسول عليه الصلاة والسلام يجيب عن مسائل الصحابة فيما يخص كتاب الله، وبينها من الاختلاف فيه، وفي رواية عبد الله بن عمر قال: "هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه يوماً قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب، فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب" (35)، وأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يقرؤوا القرآن ما انتلفت عليه قلوبهم، وأمرهم إن اختلفوا فيه أن يقوموا (36).

المطلب الثالث: الانتصار في عصر الصحابة

- سار الصحابة على المنهج النبوي في الانتصار لكتاب الله، وخلا انتصارهم من التعقيدات الكلامية والمنطقية.

- اعتمد منهج الصحابة في الانتصار بصورة رئيسة على القرآن، فكتاب الله هو المورد الواحد الذي التقى عليه الجميع.

- لعب الحاقنون من يهود وشعوبيين دوراً كبيراً ومؤثراً على ساحة الأحداث وكان الإلحاد في التأويل أحد طرقهم في حرب الأمة.

- مع غياب مرجعية فهم كتاب الله عن المسلمين بوفاء الرسول عليه الصلاة والسلام ظهر الاختلاف في فهم القرآن.

- مع تزايد الانحرافات التأويلية والفهم الفاسد، وتعاضم الفرق والاختلاف، ضم الصحابة إلى الاستدلال بكتاب الله في انتصارهم له سنن رسول الله عليه الصلاة والسلام والحجة العقلية واللغوية بحسب حال السائل، ومسائل نافع بن الأزرق الخارجي⁽³⁷⁾ لابن عباس مشهورة فقد كان يسأله عن معنى القرآن فيجيبه ابن عباس ويستشهد بأشعار العرب، فإذا تجاوزت مسائل ابن الأزرق حدود المعنى كان ينصرف عنه ابن عباس ويعرض عن الجواب فيلومه ابن الأزرق بقوله: "الله أنت يا ابن عباس، أنضرب إليك يا ابن عباس أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيتك غلام من قريش فينشدك سفعاً فتسمعه"، قال: "تالله ما سمعت سفعاً"⁽³⁸⁾.

- استخدم الصحابة الشدة والحزم في انتصارهم لكتاب الله، وهذا لا يعني بحال أن هذا منهج مضطرد عندهم.

ولا مستند لأعداء الله وأعداء عمر بن الخطاب في استدلالهم بقصة صبيغ على اضطراد استخدام الشدة في الانتصار عند الصحابة؛ وما هذا إلا لأن قصة صبيغ قصة لها حيثياتها، فصبيغ هذا كان يتعنت الناس بسؤاله عن متشابه القرآن وكان عمر يأمل في أن يصل صبيغ في مسأله للخليفة حتى يريح العباد منه، وكان يدعو: اللهم مكني منه، فلما وصل بفتنته إلى الخليفة عزّره عمر، وصبيغ كوفي من العراق، والكوفة على صفيح ساخن فقد كان الأعراب فيها يحصبون كل أمير للخليفة ويعزلونه، وكان لا ينقصهم من أمثال صبيغ ليزيد الفتنة تأجيجاً، لهذا عزّره عمر ونفاه إلى البصرة وأرسل إلى أبي موسى الأشعري أن لا يُجالسه أحد من المسلمين، وتذكر الروايات أن الإعراض عن مجالسته نفعه في التوبة والعودة عن اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة⁽³⁹⁾.

- سجلت لنا الروايات التاريخية جدل الصحابة مع الطاعنين في كتاب الله، الملحدون في تأويله، فقد أرسل عثمان رضي الله عنه محمد بن سلمة الأنصاري إلى الخوارج في خمسين رجلاً فجادلهم حتى رجعوا عن تأويلاتهم المنحرفة

وفهمهم السطحي لكتاب الله⁽⁴⁰⁾، وأرسل علي رضي الله عنه ابن عباس لهم وجادلهم ورجع منهم أربعة آلاف عن انحرافهم⁽⁴¹⁾.

- ما سبق يدل على تعدد طرق الصحابة في الانتصار لكتاب الله، وتناسبها مع حال الطاعن؛ مما جعل منهج الصحابة يتراوح بين استخدام الحجة النقلية والعقلية، وبين الشدة والحزم، وأحياناً الإعراض عن الطاعن وترك مجالسته بحسب الحال والمآل.

- كان استخدام السيف والسنان قراراً يتخذه حاكم المسلمين في الانتصار للقرآن، وذلك عندما ينقلب الطعن في كتاب الله إلى أفعال تهدد أمن الدولة وأمن المسلمين⁽⁴²⁾.

المبحث الثالث: أهمية التأصيل للانتصار، وطرقه المنهجية، ومراحله

المطلب الأول: أهمية التأصيل لعلم الانتصار للقرآن الكريم

لما كان الانتصار لكتاب الله بهذه الأهمية، فقد كان حرياً بالأمة أن تفرع للتأصيل والتقعيد له إلا أن هذا لم يحصل على مر القرون الماضية بالرغم من الحضور القوي للانتصار للقرآن تطبيقياً في تراث الأمة.

والسؤال المشروع لماذا لم يقيم المتقدمون بالتأصيل لعلم الانتصار؟ ويغلب على ظني في هذه المسألة أن الانتصار استند إلى جملة من الأدوات وضم جملة من العلوم وهذه العلوم تم تأصيلها وتدوينها كل على حدة مما ناسب العصر الذي جرت فيه عملية الانتصار وسأعرض لهذا عندما أتحدث عن مركزية الانتصار عند سلف الأمة⁽⁴³⁾، وسبب آخر هو وجود الكفاءات العلمية المعنية بالانتصار لكتاب الله تطبيقياً؛ وإنما يأتي التأصيل عادة عند الخلل في التطبيق.

ومعلوم أن التأصيل النظري لكل علم له أهمية بالغة، وما هذا إلا لأن جمع... الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها وأدعى لضبطها⁽⁴⁴⁾، وكان سلف الأمة كلما حزبه أمر في علومهم فزعوا إلى التقعيد والتأصيل إما باستقراء كلي للجزئيات على طريقة الأصوليين، أو بالاستدلالات العقلية القطعية التي لا تقبل الظن على طريقة المتكلمين.

وللأصول والقواعد في علم الانتصار فوائد نذكر منها:

- تثبيت علم الانتصار للقرآن الكريم بين العلوم.
- فهم عملية الانتصار، وبناءها على أسس قوية، ودعائم راسخة وقد قيل: "من حرم الأصول حرم الوصول"⁽⁴⁵⁾.
- التفريق بين المسائل المشتبهة؛ بحيث لا يبقى الانتصار للقرآن فضفاضاً واسعاً، فيدخل فيه ما ليس منه، ويخرج منه

ما هو في صميم مدلولاته.

- ضبط عملية الانتصار؛ فالاحتكام إلى قواعد عامة يضبط الانتصار للقرآن، ويقومه ويصح مساره، ويعصم المنتصر من الزلل، ويحميه من الفهم الفاسد، والتطبيق الخاطئ.

- بيان حكم الجزئيات، فالأصول والقواعد كالأساس للبيان، ولا يخرج حكم الجزئيات إلا بالقواعد، ولا تقوم للقواعد قائمة بدون جزئياتها⁽⁴⁶⁾.

- تسهيل تقويم الجهود المبذولة في الانتصار، فالقواعد والأصول تصلح لرد المخالفين إليها وخصوصاً إن حصل اتفاق بين أهل التخصص على هذه الأصول والقواعد.

- جمع الأشباه والنظائر في الموضوع الواحد من جمال العلم.

المطلب الثاني: الطرق المنهجية والعلوم اللازمة المقترحة للتأصيل للانتصار للقرآن الكريم

أولاً: الطرق المنهجية لوضع قواعد الانتصار للقرآن الكريم لا تخرج الطرق المنهجية لوضع قواعد الانتصار عن طريقين هما: الاستقراء كلياً كان أم جزئياً، والاستدلال العقلي الذي يرقى ليقال عنه قطعي أو يقارب القطعي في الدلالة.

ويعد كتاب الله وسنة نبيه وعمل الصحابة المصدر الرئيس لاستقراء قواعد الانتصار، إضافة إلى عمل التابعين وكتب المتقدمين في الدفاع عن كتاب الله، ويضاف إليها كتب العلوم اللازمة في الدفاع مثل كتب المناظرة والكلام والمنطق والفلسفة واللغة وأصول الفقه وغيرها، ولما كانت الإحاطة بهذه العلوم ليست في الإمكان كان طريق الاستقراء الجزئي عوضاً عن قصر الأوقات والأعمار.

أما مصدر الاستدلال العقلي فهو قواعد المنطق والواقع المعاش، وأعني بالواقع المعاش ما أثبتته التجربة من حاجة إلى أحد هذه القواعد والأصول.

ثانياً: العلوم اللازمة المقترحة للتأصيل لعلم الانتصار

تعد علوم الغاية من تفسير وحديث ولغة وأصول فقه مصدراً رئيساً من مصادر استمداد قواعد الانتصار، كما أن كل علم يُستخدم في الانتصار لكتاب الله يعد من مصادر استمداد قواعده؛ مثل علم مقارنة الأديان، وعلم الإعجاز، والكلام والمنطق والفلسفة، وعلوم الأصول في اللغة والتفسير، وعلوم القرآن، وغيرها، وبالجمله فكل علوم الآلة التي خدمت كتاب الله تصلح بنسب متفاوتة أن تكون مصدراً من مصادر استمداد قواعد الانتصار.

المطلب الثالث: مراحل التأصيل المنهجي

يسبق مسيرة التأصيل لعلم الانتصار مراحل يعد الاتفاق عليها مهماً جداً بين أهل التخصص لتحقيق الاعتراف بهذا العلم، والسير قدماً فيه، وهذه المراحل هي:

أ- الاتفاق بين أهل التخصص على ضرورة أفراد الانتصار للقرآن بعلم مستقل، له تعريفه وتاريخه وأصوله وقواعده، ويتأتى هذا الاتفاق بأمرين:

1- دراسة تاريخ الأمة وتراثها والوقوف على المكانة المركزية التي احتلها الانتصار للقرآن الكريم عبر القرون.

2- دراسة واقع الأمة اليوم وتلمس الحاجة الملحة لعلم يضبط عملية الانتصار للقرآن الكريم ويقومها.

ب- الاتفاق بين أهل التخصص على حد مصطلح الانتصار للقرآن: والاتفاق على حد المصطلح مهم جداً فإدراك العلوم رهين بضبط مصطلحاتها، ويتحقق ضبط مصطلح الانتصار بأمر عدة أذكر منها:

1- الوقوف على المعاني اللغوية لمفردة (الانتصار).

2- النظر في استعمالات المتقدمين لكلمة (الانتصار) بما يتصل بالقرآن تحديداً.

3- تحرير المصطلحات القريبة واستعمالاتها عند المتقدمين، وقد استخدم المتقدمون من علماء الأمة مفردات متعددة قريبة من مصطلح الانتصار في رحلة دفاعهم عن كتاب الله، والوقوف على الفروق الدقيقة بين هذه الاستخدامات يحتاج إلى دراسة مستقلة؛ وما هذا إلا لأن المتقدمين لم يعرفوا هذه المفردات اصطلاحياً، ومن هذه المفردات: النقض، الرد، الجواب، الدفاع، إزالة الشبهات، تنزيه القرآن دفع المطاعن، وغيرها من المفردات القريبة.

4- القيام بدرستين تاريخيتين لعملية الدفاع عن القرآن الكريم من لدن سلف الأمة وصولاً إلى العصر الحاضر؛ الأولى تسمى سكونية تهدف لدراسة الانتصار للقرآن في عصر من العصور، والثانية حركية (ديناميكية) تهدف لدراسة تطور الانتصار للقرآن الكريم عبر العصور وبهاتين الدراستين يمكن رسم ملامح وحدود لمفهوم الانتصار والوقوف على اتفاق مبدئي على ما يدخل في مفهوم الانتصار وما يخرج منه.

5- مراعاة مباحث الحد عند المتكلمين والأصوليين قدر المستطاع، وقولي قدر المستطاع لأن الوفاء بشرط المحدود عسير، فإن عسر هذا الأمر في الانتصار فلا مانع من تعريف وصفي إجرائي يفي بمعنى المطلوب.

6- مناقشة المصطلح ووضعه على مائدة البحث بين المتخصصين في الدراسات القرآنية، حتى يتحقق له التوافق بين أهل العلم.

ج- الاتفاق بين أهل التخصص على طرق استمداد أصول وقواعد الانتصار ومصادرها ومدى قطعيتها:

معلوم أن الخلاف في قواعد العلوم ليس حكرًا على علم الانتصار بل يتعداه إلى كثير من العلوم النظرية. وهذا الخلاف

والجماعة هو ترك الرد على الشبهات إلا في حالات قليلة مشروطة، وهذا التصديق سيحد من مسيرة الانتصار للقرآن الكريم من الغوائل التي تتهدده.

ومعلوم أن الأمر لا يزول إلا من حيث ثبت، وعليه فإن أول خطوة لتجاوز الإرث الثقيل لعلم الكلام هي قتله بحثاً. ويسهم استقرار مئات النصوص الرافضة لعلم الكلام في إثبات أن هذا الرفض والذم لا علاقة له بالانتصار للقرآن ودفع الشبهات عنه⁽⁴⁸⁾؛ فهذه النصوص التراثية رفضت ودمت علم الكلام لأسباب هي: موضوعات العلم، ومآلات الاشتغال به، ومنهجه.

أولاً- رفض علم الكلام بسبب موضوعاته

صرحت النصوص التراثية بأن سبب رفض علم الكلام هو موضوعاته، وقد روي عن الشافعي أنه كلم رجلاً في مسجد الجامع في مسألة فطالت مناظرته له، فخرج الرجل إلى شيء من الكلام، فقال له: "دع هذا، فإن هذا من الكلام"⁽⁴⁹⁾. وكان سفيان الثوري يقول: "عليكم بالأثر، وإياكم والكلام في ذات الله"⁽⁵⁰⁾.

وقيل عن ابن قدامة المقدسي إنه كان مجاهداً بالسيف والسنان والقلم واللسان وكان في مجلس المناظرة يدفع الشبه ويقرع الحجة بالحجة ويقيم البراهين والأدلة على صحة قوله وهو صاحب كتاب تحريم النظر في علم الكلام⁽⁵¹⁾.

والنصوص السابقة إن دلت على شيء فإنها تدل على أن الرفض لعلم الكلام له علاقة بموضوعه لا بوصفه فعالية حجاجية عقلية، وأن الذم له كان لخوض المتكلمين بعقولهم في ذات الله وصفاته وغيرها من الغيبيات التي لا سبيل لمعرفة عند المسلمين إلا بالنقل الصحيح، وكل أعمال للعقل فيما لا طاقة له مفضي إلى الضلال.

ثانياً- رفض علم الكلام بسبب منهجه

أنكر علماء الأمة المنهج العقلي في مقارنة الغيبيات، وإنكارهم هذا سببه فقد شرط المجانسة بين المنهج والموضوع، فالشبهات المتعلقة بالأمور الغيبية لا قدرة للعقل في دفعها، وهذا ليس تقليلاً من شأن العقل، ولا تحجيماً لدوره، ولكنه اعتراف بأن الغيبيات فوق إدراكه، وأوسع من نطاقه، وهذه حقيقة يقرها ابن خلدون في مقدمته قائلاً: "وليس ذلك قاذح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن ترز به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال.

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا على أن الميزان في أحكامه

إذا كان في مسائل قليلة لا نعهده إشكالية على طريق الانتصار بل بالعكس فكل جدل يدور حول أصول وقواعد الانتصار ومدى قطعيتها يسهم في تثبيتها، ويسهم أيضاً في تحقيق الاعتراف بهذا العلم، وهذا بدوره يؤدي إلى نضجه والإقرار بقواعده. ويعد الاستقراء والاستدلال العقلي منهجين معتبرين في وضع قواعد الانتصار، والاعتماد عليهما يحد كثيراً من الخلاف حول الأصول النظرية لهذا العلم.

د- الفصل بين علم الانتصار للقرآن وعلم الكلام:

وهذه النقطة لأهميتها سأفرد لها مبحثاً مستقلاً في هذا البحث.

المبحث الرابع: العلاقة بين علم الانتصار وعلم الكلام ومسوغات الفصل بينهما

وللوقوف على العلاقة بين علم الانتصار وعلم الكلام ومسوغات الفصل بينهما وضرورته يلزمنا التعرّيج على قضيتين غاية في الأهمية وهما الحمولة المعرفية لعلم الكلام، والدعوة المعاصرة إلى تجديد علم الكلام أو الدعوة إلى إنشاء علم كلام جديد.

المطلب الأول: الحمولة المعرفية لعلم الكلام: يعد علم الكلام من العلوم المثيرة للجدل في تاريخ الأمة؛ بدءاً من مصطلحه ومفهومه، مروراً بأصل وجوده ونشأته والحاجة إليه، وانتهاء بموضوعاته ومناهجه وغاياته.

وللإنصاف فإن هذا العلم وفي بمقصوده في وقته، وأسهم في الحد من التيارات العقدية والأفكار الهدامة المعادية للإسلام، ولا يمكن إنكار ما امتاز به المتكلمون من الضبط للمناهج العقلية والإفادة من القويم من المنطق إضافة إلى التجريد والدقة والعمق في استيعاب ظروف عصرهم العلمية والتاريخية، وحققوا انسجاماً منقطع النظير بين التنظير والتطبيق.

وما سبق لا يمنع من القول إن مثالب هذا العلم كثيرة، إضافة إلى إمكان توجيهه للمفسدة وهذا شأن كل علم⁽⁴⁷⁾. وليس المقام مقام تفصيل وبسط في هذه الأمور، لكن ما يعنيني هو استحالة التخلص من الإرث المعرفي لمصطلح علم الكلام، وكل استعمال معاصر له سيستدعي إلى الذهن هذه التركيبة الجدلية التي تعيق مسيرة أي علم يرتبط به.

والتراث الإسلامي يحفل بمئات النصوص التي تدم الكلام، وتنتهي عن مجادلة أهل الأهواء والبدع، وتحت على ترك مجالسة الطاعنين.

وقد قام المعاصرون باقتطاع هذه النصوص التراثية من سياقاتها الزمانية والمكانية، وادّعوا أن منهج أهل السنة

كان للبعض مشاريع متكاملة في هذا، مثل ابن قتيبة والإمام أحمد ابن حنبل والبخاري والأشعري والباقلاني والغزالي وابن تيمية وغيرهم، فجميعهم ردوا الشبهات وقارعوا الشعبيين⁽⁵⁶⁾ والجهمية⁽⁵⁷⁾ والرافضة⁽⁵⁸⁾.

ولا يعد استثمار الآليات الإجرائية لعلم الكلام مثل المناظرة أو المنطق في الانتصار لكتاب الله مسوغاً كافياً لربط الموضوعين ببعضهما، فالآليات الإجرائية للمنهج لاضير من تداولها بين العلوم بشرط المجانسة للموضوع .

والفصل بين علم الكلام وعلم الانتصار سيسهم في التخلص من الحمولة المعرفية لعلم الكلام والتي يمكن أن تعيق مسيرة الانتصار .

وتطالعنا في دعوى الفصل بين العلمين إشكاليتان:

* الإشكالية الأولى: أن موضوعات علم الكلام داخلية في موضوعات الانتصار لأن كتاب الله حوى آيات كثيرة في الذات والصفات وكثير من الغيبيات، فهل ينبغي القفز عن هذه الآيات؟ ألا يحتاج المرء في الانتصار للقرآن رد التأويلات المنحرفة لهذه الآيات وهذا قد يجمع علم الكلام مجدداً مع الانتصار؟ والجواب عن هذه الإشكالية أنه يمكن استثمار آليات جديدة تخرجنا من مأزق التفسير الإسقاطي⁽⁵⁹⁾ للمذاهب والفرق مثل مراعاة السياق في التفسير وأسباب النزول وتاريخ النزول وغيرها مما يلقي الضوء على حكمة ورود الآيات أكثر من الخوض في حرفيتها، وتتكفل قواعد الانتصار بحفظ عملية الانتصار من أن تتداخل مع علم الكلام، مثل قاعدة عدم الخوض في الغيبيات والاكتفاء بالنقل الصحيح في موضوعها، وقاعدة مجانسة المنهج للموضوع وهذه القاعدة تتكفل بعدم مقاربة الغيبي بالمادي.

** الإشكالية الثانية: إلى أي حد يبدو الفصل بين العلمين من الناحية العملية ممكناً وعلم الكلام جزء أصيل من تاريخ علم الانتصار للقرآن، لا سيما أن التأويلات المنحرفة والإسقاط العقدي كان سمة للفرق في عصور المسلمين الأولى، هذا الإشكال أضعه بين أيدي الدارسين. ليخضع للنظر.

المطلب الثاني: الدعوة إلى تجديد علم الكلام أو الدعوة إلى إنشاء علم كلام جديد

قد يعترض علينا معترض في إنشاء علم جديد تحت مسمى الانتصار بحجة الدعوات التي تعالت لتجديد علم الكلام في القرن المنصرم، وهذا التجديد سيرسم ملامح علم كلام جديد يوفي بمقصود الدفاع عن القرآن الكريم، ويتجاوز الحمولة المعرفية لعلم الكلام القديم.

ويقودنا هذا الاعتراض إلى فحص الدعوة إلى التجديد في علم الكلام عن قرب، وقد خلصت إلى نتائج عدة من الإطلاع

غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده، ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه⁽⁵²⁾.

ويقدر ابن خلدون حقيقة قصور فهم واضمحلال رأي من يقدم العقل على السمع في هذه الأمور .

ثالثاً- رفض علم الكلام بسبب مآلات الاشتغال به

باستقراء النصوص وجدت أن مآلات الاشتغال بعلم الكلام هي:

1- الخلط المصطلحي الذي نجم عن ترجمة مصطلحات اليونان وترك لغة العرب، وهذا بدوره انعكس على فهم القرآن بغير معهود العرب.

2- التهوين من شأن النبوات عموماً ودورها في إدراك المعارف الغيبية، وأهل الكلام سلكوا بهذا طريق الفلاسفة، وهذا الطريق مشروع للفلاسفة لأنهم أصلاً لا يؤمنون بالنبوات، وأقوى طريق عندهم لمعرفة هذه الأمور ما تعلقوا به على الاستدلال بالكلام والمنطق، لكنه طريق مرفوض لمن أكرمه الله ببعث رسوله وهده به لمعرفته.

3- التهوين من أمر السنة الصحيحة، ورد الأحاديث الصحيحة في سبيل الإسقاطات العقدية.

4- الدخول في التأويل العقلي للقرآن المخالف للصواب للاستدلال على المذاهب الكلامية.

5- انتشاره بين العوام مما يدخل الشك في قلوبهم ويزعزع عقائدهم، ومن أجل ذلك قال ابن مسعود: وما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة⁽⁵³⁾.

6- الوقوع في الكفر عند الزلل، وذلك لخطورة موضوع علم الكلام وتعلقه بالعقائد.

أخرج محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: قال لي الشافعي: "يا محمد إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه، فإنه إن سألك عن دية فقلت درهماً أو دانقاً قال لك: أخطأت، وإن سألك عن شيء من الكلام فزللت قال لك: كفرت"⁽⁵⁴⁾.

7- الجرأة على الذات الإلهية يقول الجنيد بن محمد: "أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب والقلب إذا عري من الهيبة بالله عري من الإيمان"⁽⁵⁵⁾.

ما سبق يدل أن الرفض لعلم الكلام لا علاقة له بالانتصار للقرآن ودفع الشبه عنه والرد على الفرق المنحرفة، فالانتصار يفتقر عن الكلام موضوعاً ومنهجاً ومآلاً وإن التقى معه في بعض الآليات الإجرائية.

والدليل على هذا أن المتقدمين -سواء من أنكر منهم الكلام ومن قبله- انتصروا لكتاب الله وتصدوا لدفع الشبهات عنه بل

فلا مانع في علم الكلام الجديد أن تتبدل هذه العقائد فتصبح كل المذاهب الإلحادية عقائد يدافع عنها الكلام الجديد.

4- التصور المعرفي لأي علم قائم على أركان هي: تعريفه ومسائله وموضوعه ومنهجه ولغته وغايته، وسأتناول كل واحدة باختصار:

أ- **التعريف:** معلوم أن التعريف ما هو إلا وسيلة لضبط المفهوم، وعدم وجود تعريف جامع مانع لعلم الكلام الحديث أدى إلى اضطراب المفهوم؛ فتارة يضيق ليقصر على الأمور العقدية وتداعياتها في العالم الحديث والبحث في الفلسفات الإلحادية المعاصرة، وتارة يشمل كل ما يتعلق بالفكر الإسلامي سواء من ناحية عرضه وتقديمه للآخر أو الدفاع عنه أو تقويمه أو إصلاحه، وأحياناً يصبح المفهوم مغرقاً في التعميم مما يجعل علم الكلام الجديد معنياً بالمشروع الإسلامي الحضاري بجملته والدفاع عنه.

ب- **المسائل:** لا يمكن أن نعد إضافة مسائل جديدة إلى علم الكلام القديم إسهاماً في علم جديد كما أن إضافة مسائل فقهية جديدة اقتضاها العصر لا تعني علم فقه جديد.

ج- **الموضوع:** حاول المفكرون الإسلاميون الجدد تجاوز أزمة موضوع علم الكلام القديم من ناحية تعلقه بالذات الإلهية، وخوضه في أمور لا يترتب عليها عمل، إضافة إلى ما كان عليه المتكلمون القدامى من إغفال للوظيفة الاجتماعية للدين، وكان موقف المعاصرين في هذا لا يتجاوز أحد طريقتين: الأول: تجاوز موضوع علم الكلام لأن الزمن تجاوزه، وقصر العقل على العالم المشهود وتوجيه العناية إلى المسائل العملية.

والثاني: الاحتفاظ بموضوعات علم الكلام القديمة وإضافة ما يعترض الفكر الإسلامي من شبهات إليها، والتركيز على ما يترتب عليه عمل وترك الإغراق في التجريد والتظهير ومن هؤلاء محمد إقبال الذي افتتح كتابه بقوله: " القرآن الكريم كتاب يعنى بالعمل أكثر مما يعنى بالرأي"⁽⁶³⁾، ثم يعود ليؤكد هذه الفكرة في نهاية كتابه قائلاً: "أن العالم ليس شيئاً لمجرد الرؤية، أو أنه شيء يعرف بالتصور، وإنما هو شيء يبدأ ويعاد بالعمل المستمر" ولهذا جعل إقبال هدف الرياضة الصوفية ليس الكشف إنما تهذيب النفس وزيادة قدراتها إذ " ليس غاية الذات أن ترى شيئاً بل أن تصبح شيئاً"⁽⁶⁴⁾ وفي موضع آخر في نهاية كتابه يعود للتأكيد على أهمية العمل في المعرفة ويقرر حقيقة أن "الفكرة الخاطئة تضلل الفهم، أما العمل الطالح فإنه يشين الإنسان كله، بل ربما كان فيه أحياناً القضاء على كيان الذات الإنسانية، ومن هنا نجد أن مجرد الإدراك لا يؤثر في الحياة إلا تأثيراً جزئياً أما العمل فإنه متصل بالحقيقة اتصالاً

على هذه الدعوة إلى تجديد علم الكلام ومن هذه النتائج:

1- هذه الدعوى ضبابية، مضطربة، يكتنفها الغموض بعد مضي أكثر من قرن على إطلاقها من قبل العالم الهندي شبلي النعماني (1273هـ - 1332هـ) وأكثر المهتمين بهذه الدعوى هم الشيعة لأنها تخدم مشروعهم العقدي وتطوره بما يناسب الواقع.

2- لم يفلح كل من أسهم في محاولات التجديد في رسم تصور معرفي واضح للعلم الجديد وذلك لاختلاف مفاهيمهم حول التجديد، وفردية كل محاولة.

3- لم يخل علم الكلام الجديد من الإسقاط العقدي مثل المحاولات الإسقاطية الشيعية، فالشيعة تلقوا دعوى علم الكلام الجديد ليخدموا مشروعهم العقدي مثل تطبيق ولاية الفقيه على ساحة الواقع وقضايا في الإمامة وختم النبوة والبداء وغيرها من القضايا.

ولم يخل علم الكلام الجديد كذلك من محاولات إخضاعه للمذاهب والفلسفات التي أنتجها الفكر الإنساني المعاصر مثل محاولات الماديين الذين جعلوا العقائد نسبية مثل عقول واضعيها، وجعلوا الدين نتاج بشري في مرحلة من مراحل الإنسانية، يقول فهمي جدعان تحت عنوان التوحيد المتحرر بعد أن استعرض الآراء في علم الكلام الجديد بطريقة مطولة: "... إنه لأمر مؤكد في كل الأحوال أن طريق (التوحيد) ما زال بعيداً عن نقطة نهايته، وأن الكلمة الأخيرة فيه لم تُقَل بعد، وأغلب الظن أنه لن يقولها أحد من البشر على الإطلاق"⁽⁶⁰⁾، بينما يعد حسن حنفي الدين نتاج الفكر الإنساني ويستتبع هذا أن علم الكلام الآن ينبغي أن لا يكون له علاقة بالدين لأن العصر تجاوز الدين، ويمكن استبدال مصطلحات علم الكلام القديم بمصطلحات تناسب عصر الإلحاد كما ناسبت مصطلحات علم الكلام طور التدين الذي مرت به البشرية، فالوحي عند حسن حنفي هو الشعور وهذا الشعور الإنساني هو "... وصف حقيقي للمعرفة وللوجود... ولا شيء في العالم الخارجي يمكن إدراكه ومعرفته إلا من خلال الشعور... فالبداية بالشعور بداية يقينية لا تسبقها بداية أخرى... وهذا معنى الكوجيتو الديكارتي"⁽⁶¹⁾، والله عنده هو الرغيف عند الجائع، والحرية عند المستعبد والعدل عند المظلوم، والحب عند المحروم، والإشباع عند المكبوت⁽⁶²⁾، ولأن العقيدة عند حنفي هي بناء شعوري يخضع لمتطلبات العصر فهي إذاً تتغير مع تغير العصر، وهذا التغير يطال مفردات العقيدة ومفاهيمها ولغتها.

ومهما اختلفت وجهة نظر المستغربين لعلم الكلام القديم ومسائله فإنهم انطلقوا من أرضية واحدة أن العقائد نتاج بشري

العالم وليس فقط العقيدة، وبعضهم جعل الغاية عرض الدين وتقديمه في أفضل صورة ، وآخرون ارتأوا الحفاظ على غاية إثبات العقائد. وبقيت جدلية الغاية والهدف في علم الكلام الجديد قائمة.

ما سبق ذكره ليس من فضول القول وإنما لإلقاء الضوء على إشكالات علم الكلام الجديد وأن أي مستوى من مستويات الربط بينه وبين علم الانتصار للقرآن الكريم سيدخل القرآن في داخل دائرة الجدل الفلسفي مجدداً مما سيعيق مسيرة الانتصار لكتاب الله.

ز- اللغة: إن الحديث عن عصرنة لغة أي علم لا يعد مسوغاً كافياً لجعله علماً جديداً.

المطلب الثالث: مسوغات الفصل بين علم الكلام وعلم الانتصار للقرآن الكريم

نستطيع الآن بعد الجولة السابقة في علم الكلام القديم والجديد أن نلخص مسوغات الفصل بين علم الانتصار للقرآن الكريم وعلم الكلام بما يلي:

- 1- من مسوغات الفصل الاختلاف بين علم الانتصار وعلم الكلام موضوعاً ومنهجاً ولغة وأدلة ومآلاً.
- 2- مصطلح (علم الكلام) مصطلح ملوث، وسبق كما قال مالك بن نبي قدراً مسلطاً على حركة الإصلاح إن أصرنا على الاحتفاظ به.
- 3- كل التقاء بين العلمين سيستدعي التركة الجدلية والخلافية الثقيلة التي خلفها علم الكلام مما سيحد من مسيرة الانتصار ويعيقها.
- 4- لا يعد الالتقاء بين علم الكلام والانتصار في الهدف والغاية التي هي الدفاع عن الدين مسوغاً كافياً للربط بين العلمين.
- 5- لا يعد الاشتراك في الآليات الإجرائية سبباً للربط بين العلمين؛ فالمنظرة والمنطق تم استخدامهما في علوم عدة مثل أصول الفقه، وفي الانتصار لأحد المذاهب الفقهية على آخر.
- 6- لا تقل إشكاليات علم الكلام الجديد عن القديم لهذا فهو لن يفي بمقصود علم الانتصار للقرآن بل سيعيق تقدم مسيرته.

الخاتمة

خلصت من هذا البحث إلى نتائج أهمها:

- 1- التأسيس لعلم الانتصار للقرآن الكريم ضرورة تفرضها الحاجة المرحلية والمستمرة.
- 2- الانتصار للقرآن الكريم يستمد مشروعيته من كتاب الله وسنة نبيه وعمل الصحابة ومن المكانة المركزية التي

قوياً فعالاً وهو يصدر عن موقف للإنسان إزاء الحق الثابت على وجه العموم.⁽⁶⁵⁾ وخلص إقبال في نهاية كتابه إلى أن العمل وسيلة لإدراك الحق وليس التجريد والتنظير فقط.

وتعد رسالة التوحيد لمحمد عبده من أهم كتب علم الكلام في الوقت الحاضر وبها تم استئناف القول الكلامي بعد سبات طويل، احتفظت الرسالة بموضوع علم الكلام القديم لكنها أضافت البحث في حاجة المجتمع للعقيدة، وظهر جلياً بحث محمد عبده في الأثر الاجتماعي والمدني للدين على طول الرسالة فعلى سبيل المثال يقول محمد عبده: "متى سمعنا أن طبقة من طبقات الناس يغلب الخير على أعمالهم لما فيه من المنفعة لعامتهم أو خاصتهم وينفي الشر من بينهم لما يجلبه عليهم من مضار ومهلك هذا أمر لم يعهد في سير البشر ولا ينطبق على فطرتهم وإنما قوام الملكات هو العقائد والتقاليد ولا قيام للأمرين إلا بالدين فعامل الدين هو أقوى العوامل في أخلاق العامة بل الخاصة بل والخاصة، وسلطانه على نفوسهم أعلى من سلطان العقل الذي هو خاصة نوعهم قلنا إن منزلة النبوات من الاجتماع هي منزلة العقل من الشخص أو منزلة العلم المنصوب على الطريق المسلك، بل نصح إلى ما فوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر..."⁽⁶⁶⁾. وثارت الإشكالات على الموقفين بدعوى أن موضوع العلم هو أهم أعمدته وتغييره لا يسمى تجديداً بل علماً جديداً لا ارتباط له بالعلم القديم.

د- المنهج: مما لا شك فيه أن التغير الذي طرأ على علم الكلام في الموضوعات استتبعه تغيير في المنهج، وضم المتكلمون الجدد إلى منهجهم الأحادي العقلي الذي كان أساس علم الكلام القديم مناهج متعددة؛ ومن هذه المناهج الاستقرائي والتاريخي، واحتلت الأدلة العقلية والوجدانية والشعورية وأدلة العلم الحديث مكانة في علم الكلام الجديد، وهذا أدى إلى تغيير جوهري في بنية علم الكلام، إلا أن هذا التغير لم يحم علم الكلام الجديد من مشكلات علم الكلام القديم فما زالت جدلية العقل والنقل قائمة، وجدلية البيان والبرهان، وانتقلت الحرب الباردة بين الفلاسفة والنظار المتكلمين التي كانت قائمة في علم الكلام القديم إلى علم الكلام الجديد⁽⁶⁷⁾.

هـ- الآليات الإجرائية: ومن هذه الآليات الإجرائية المناظرة والجدل والمنطق وغيرها، وتعد محاولة طه عبد الرحمن هي محاولة تجديدية لآليات الحوار وقد عانت هذه المحاولة من صعوبة العرض واللغة، ورمزية الطرح، وعانت كذلك من التحيز لطريق النظر والبيان على طريق البرهان والمنطق.

و- الغاية: لم يخل علم الكلام الجديد من ضبابية الغاية فبعض الداعين إليه جعل غاية علم الكلام الجديد الدفاع عن الفكر الإسلامي عامة من المذاهب الإلحادية التي طغت على

والمنطق، والمؤلفات في الإعجاز التي انتصرت لمصدر القرآن، وكتب أصول الفقه وغيرها.

7- البحث العلمي الجاد بين أهل التخصص والاتفاق على قضايا عدة تم ذكرها في البحث يسهم في دفع مسيرة هذا العلم ليتبوأ المكانة التي يستحقها بين العلوم الخادمة لكتاب الله.

التوصيات

- 1- من الناحية النظرية: لا بد من دراسات لهذا العلم ومؤلفات تُضججه على مستوى التنظير والتطبيق.
- 2- من الناحية العملية: لن تؤدي الدراسة التأصيلية لعلم الانتصار للقرآن الكريم أكلها إلا بتبني الجامعات الإسلامية لهذا العلم وهذا مما أثبتته التجربة والواقع، لأن الجامعات في العالم هي المحضن الرئيس للعلوم.

احتلها عند المتقدمين من سلف الأمة.

3- للانتصار أهمية كبيرة في حفظ كتاب الله من ناحية الوجود ابتداء ومن ناحية أن لا يطرأ على القرآن التحريف والتبديل وسوء الفهم، إضافة لأهميته في حماية المسلمين والمجتمع الإسلامي من التأثير بهذه الشبهات، كما أن الانتصار يسهم في إزالة العوائق الفكرية من طريق الدعوة إلى الله.

4- يشترك علم الانتصار للقرآن مع باقي العلوم بأهمية وجود قواعد وضوابط تضبط عملية الانتصار ومفهومه وتسهم في تقويم الجهود المبذولة للدفاع عن كتاب الله.

5- ويعد المنهج الاستقرائي والمنهج الاستدلالي العقلي، هما المنهجان المعترفان لوضع قواعد هذا العلم.

6- تتعدد المصادر التي تصلح لاستخراج قواعد الانتصار النظرية ومن هذه المصادر المؤلفات التي ردت على الفرق المنحرفة والملاحدة والفلاسفة والنصارى واليهود وكلها مؤلفات دافعت عن كتاب الله، والمؤلفات في علم الكلام

الهوامش

- (7) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مج2، ص563.
- (8) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج5، ص210.
- (9) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1721.
- (10) الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مج4، ص369.
- (11) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج7، ص528، ص534.
- (12) وهذه المعاني اللغوية تؤيد ما سأصطلح عليه من أن الانتصار ليس الجانب الهدمي فقط بل يشمل الجانب البنائي وما فيه من خدمة لكتاب الله.
- (13) الضرورات الخمس هي حفظ الدين، النفس، العقل، المال، النسل. ينظر كتاب: ابن قدامة، روضة الناظر، 1/414.
- (14) الشاطبي، الموافقات، مج2، ينظر ص18.
- (15) ينظر تعريف الدين في كتاب: النجار، عبد المجيد، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص63.
- (16) والحق أن الحفاظ من ناحية الوجود يتداخل مع الحفاظ من ناحية عدمه؛ فكل حفظ من ناحية الوجود هو حماية من عدمه، وكل حفظ من ناحية عدمه هو حفظ لوجود القرآن، والتفريق هو للتمييز بين حفظ القرآن في ذاته وبين حفظه بدفع الأمور الخارجة عنه والتي يمكن أن تؤثر فيه مثل الشبهات والمطاعن.
- (17) وقد قرأت منها في سبيل إعداد هذا البحث عشرات الكتب مثل كتاب ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، وكتاب ابن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية، وكتاب الباقلاني: الانتصار
- (1) بمعنى أنه اختص هو وأحكامه بوقت نزوله.
- (2) العمري، موقف الاستشراق من السنة النبوية، موقع إسلام ويب، تاريخ الدخول 2013/1/22، [http:// articles. islamweb. net/ media/ print. php? id= 12776 & lang = A](http://articles.islamweb.net/media/print.php?id=12776&lang=A)
- (3) النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص29.
- (4) والنظر في كتب علوم القرآن تثبت ما ذهبت إليه أن علوم القرآن من آليات الانتصار لكتاب الله، قد جعل أبو شعبة علوم القرآن سلاح المنتصر للقرآن يقول: "... بسلاح قوي حاد ضد غارات أعداء الإسلام التي شنوها على (القرآن الكريم) زوراً وبهتاناً واختلقوا عليه ما شاعلهم هواهم أن يختلقوا. ولا شك أن الدفاع عن القرآن الذي هو أصل الإسلام من أوجب الواجبات على الأمة الإسلامية ولا سيما علماءها وأهل الرأي فيها وإنه لشرف عظيم وفضل كبير أن يكون المسلم منافحاً عن الكتاب الجليل" ينظر كتاب: أبو شعبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص25-26. وقد جعل الدكتور فضل عباس من الأمانة على الكاتبين في علوم القرآن رصد التحركات المشبوهة التي تعنى بالقرآن وتخصه بالبحث والتعليق، وأن يبقى الدارسون لهذا العلم على اتصال بما في عصرهم من شبهات، ينظر في كتاب: عباس، إتيقان البرهان في علوم القرآن، مج1/ص12.
- (5) الفراهيدي، العين، ص227-228.
- (6) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج2، ص359.

- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، مج 13، حديث رقم 7361، (متن فتح الباري).
- (32) روه مسلم ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الآداب، الجزء الرابع عشر، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب، حديث رقم: 2135، ص 297.
- (33) قال الزمخشري: "المدارس بيت تدرس فيه التوراة"، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة درس، ص 217.
- (34) روه البخاري ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مج 12، كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره، حديث رقم 6944.
- (35) روه مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، حديث رقم 2666.
- (36) نص الحديث روه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، حديث رقم 2667، ورواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الاختلاف، حديث رقم 7364.
- (37) نافع بن الأزرق (من الخوارج): ابن قيس الحنفي، البركري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس وله أسئلة رواها عنه، كان فتاكاً جباراً يستوقف الناس في سوق الأهواز ويعترضهم بما يحير عقولهم، قتل يوم (دولاب) على مقربة من الأهواز في سنة (65هـ). الأعلام للزركلي (7/ 352)
- (38) أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص 169، وقد كان ابن عباس يتشغل عنهم بسماع الشعر وهو ما سماه ابن الأزرق السفه.
- (39) السيوطي، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، ينظر قصة صبيغ (ص 50-51).
- (40) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مجلد خاص عن عثمان بن عفان، ص 321، وروى الطبري في تاريخه أن علي بن أبي طالب كان معهم في البعث ينظر: الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، مج 2 (ج 3+4)، ص 490.
- (41) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ينظر كلام ابن عباس ومناظرته لهم، ص 104 وما بعدها.
- (42) ينظر قصة قتال علي للخوارج التي ذكرها ابن حجر من رواية أحمد والطبراني والحاكم من طريق عبد الله بن شداد ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مج 12، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس، ص 367.
- (43) وهذا يشبه بوجه التأخر في جمع قواعد التفسير إلى الوقت الحاضر.
- (44) الزركشي، المنثور في القواعد، 65/1.
- (45) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص 125.
- (46) السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ص 4.
- (47) عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ينظر لنقل القرآن، وكتاب ابن حزم: الرد على ابن النغيلة، وكتاب ابن الزبير: ملاك التأويل، وكتب ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، وبغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، وكتاب تلميذه ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، وكتاب الطوفي: الانتصارات الإسلامية، وغيرها مما يضيق المكان عن ذكره.
- (18) ونعني بالجانب الهدمي تفنيد الشبهات ودفع المطاعن، والجانب البنائي إجراء احترازي تأسيسي يشخص السبب الداخلي للشبهات، ويتخذ التدابير الوقائية لمنعها. وبعد تحقيق التراث وإخراج الدخيل منه على الدين من هذه العمليات.
- (19) ينظر تفسير آية (القصص، 49) الطبري، جامع البيان، الزمخشري، الكشاف، والرازي، التفسير الكبير، وغيرها من أمهات التفاسير.
- (20) ابن الحنبلي (ت 634هـ)، استخراج الجدل من القرآن الكريم، ينظر أدلة البعث في القرآن ص 35 وما بعدها.
- (21) نجم الدين الحنبلي الطوفي (ت 716هـ): سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، فقيه حنبلي، من العلماء الأعلام للزركلي (3/ 128).
- (22) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 23.
- (23) عباس، إتيان البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 308.
- (24) دراز، محمد، مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليلي مقارنة، ص 73.
- (25) ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، ص 180.
- (26) روه البخاري ينظر كتاب: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مج 6، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع من بني إسرائيل، حديث رقم 3464، ص 620.
- (27) ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مج 6، كتاب أحاديث الأنبياء، باب 28، حديث رقم 3403 وفيه تحريف بني إسرائيل للأمر الرباني: ادخلوا الباب سجداً، وحديث رقم 3404، وحديث رقم 3405 وفي الحديثين إيذاؤهم لموسى عليه السلام.
- (28) روه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، مج 13، حديث رقم 7513.
- (29) وقد نقل ابن حجر في أكثر من موضع كلاماً وافياً لابن بطال في تأكيد ما ذهبنا إليه من أن ضحك النبي لتخليطهم وتجسيمهم وتحريفهم.
- (30) روه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى: (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين)، مج 13، حديث رقم 7542، (متن فتح الباري).
- (31) روه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،

- (57) الجهمية هم أصحاب جهنم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمز وقتل بمرور في آخر ملك بني أمية، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1/73.
- (58) الرافضة هم الشيعة وسموا بذلك لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر.
- (59) وأعني بالتفسير الإسقاطي هو إسقاط الأفكار والمذاهب على كتاب الله، أو بعبارة أخرى كما يقول ابن تيمية في مقدمته هو تفسير قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، وهو عكس التفسير الاستمدادي الذي يكون مستمداً من النص القرآني نفسه.
- (60) جدعان، فهمي، أسس التقدم، ص257.
- (61) حنفي، حسن، التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم، ص112.
- (62) المرجع السابق، ص13.
- (63) إقبال، محمد، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص3.
- (64) المرجع السابق، ص231.
- (65) المرجع السابق، ص218.
- (66) عبده، رسالة التوحيد، ص66.
- (67) عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ينظر ص147 وما بعدها.
- ص71 وما بعدها.
- (48) لا يعد عرضي للنصوص الرافضة لعلم الكلام تبنياً لموقف معين يرفض أو يقبل هذا العلم الذي استنفذ أغراضه وكان وجوده حاجة مرحلية ملحة، بل الهدف بيان أن رفض علم الكلام وزمه عند المتقدمين لا يصلح أرضية للاستدلال لرفض الانخراط في مشاريع رد الشبهات عن القرآن الكريم.
- (49) السيوطي، صون المنطق، ص66-67.
- (50) المصدر السابق، ص58.
- (51) المقدسي، تحريم النظر في كتب علم الكلام، ص11.
- (52) ابن خلدون، المقدمة، ص553-554.
- (53) السيوطي، صون المنطق، المصدر السابق، ص114.
- (54) المصدر السابق، ص105.
- (55) المصدر السابق، ص116.
- (56) جاء في القاموس المحيط "والشعوبي بالضم محتقر أمر العرب وهم الشعوب". وقال عنها القرطبي هي حركة «تبغض العرب وتفضل العجم» وقال الزمخشري في أساس البلاغة: "وهم الذين يصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم". تعرف الموسوعة البريطانية الشعبية بأنها كل اتجاه مناوئ للعروبة (anti-Arabism). وكان أكثر انتشارها بين المسلمين الفرس لشعورهم بالتحضر مما جعل عندهم استعلاء على العرب.

المصادر والمراجع

- محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- ابن حنبل (ت241هـ)، أحمد، الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة، 1402هـ-1982م، دار اللواء، الرياض، ط2.
- ابن الحنبلي (ت634هـ)، ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن الأنصاري، استخراج الجدل من القرآن الكريم، دار الإعلام، عمان، الأردن، ط1، 1423هـ-2002م.
- حنفي، حسن، 1981م، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
- ابن خلدون (ت808هـ)، المقدمة، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1431هـ-2010م.
- دراز، محمد عبد الله (ت1958م)، مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن، ترجمة محمد عبد العظيم علي، 1403هـ-1981م، دار القلم، الكويت، ط3.
- ابن دريد (ت321هـ)، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (بدون تاريخ).
- الرازي (ت606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1422هـ-2001م.
- الزبيدي (ت1145هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، دمشق، 2005م.
- الزركشي (ت794هـ)، بدر الدين، المنشور في القواعد، وزارة الأوقاف
- إقبال، محمد، (ت1938م)، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، 1421هـ-2000م، دار الهداية، ط2.
- الباقلائي، (ت403هـ)، أبو بكر، الانتصار للقرآن، تحقيق محمد عصام القضاة، 1422هـ، 2001م، دار الفتح، عمان، دار ابن حزم، بيروت، ط1.
- ابن تيمية، (ت728هـ)، مقدمة في أصول التفسير، شرح ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2005م.
- ابن تيمية، (ت728هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر، (بدون تاريخ).
- ابن تيمية، (ت728هـ)، منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، 1406هـ-1986م، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1.
- جدعان، فهمي، 2007م، في الخلاص النهائي مقال في وعود الإسلاميين والعلمانيين والليبراليين، دار الشروق، عمان، ط1.
- ابن الجوزي، (ت597هـ)، جمال الدين، تلبيس إبليس، تحقيق حامد أحمد الطاهر، 1425هـ-2004م، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1.
- ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 1410هـ-1989م، ترقيم

- والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1402هـ-1982م.
- الزمخشري (ت538هـ)، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر،
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التاويل، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى،
1418هـ-1998م.
- أبو زهرة، محمد (ت1394هـ)، تاريخ الجدل، مطبعة العلوم،
1353هـ-1934م.
- السعدي (ت1376هـ)، طريق الوصول إلى العلم المأمول: بمعرفة
القواعد والضوابط والأصول، مختار من كتب شيخ الإسلام ابن
تيمية، مطبعة الإمام، مصر (بدون تاريخ).
- السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، صون المنطق والكلام عن فن
المنطق والكلام، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى، (بدون
تاريخ).
- الشاطبي (ت790هـ)، الموافقات، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن
عنان، القاهرة، ط3، 1430هـ-2003م.
- أبو شهبة، محمد (ت1403هـ)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار
اللواء، الرياض، ط3، 1407هـ-1987م.
- الشهرستاني، أبو الفتح (ت548هـ)، الملل والنحل، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1413هـ-1992م.
- الطبري، ابن جرير (ت310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم
 والملوك)، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، ط3، 1413هـ-
1992م.
- الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط3، دار
الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1420هـ-1999م.
- عباس، فضل حسن، 1430هـ-2010م، إتيان البرهان في علوم
القرآن، دار النفائس، عمان، الأردن، ط2.
- عبد الرحمن، طه، 2000م، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،
المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2.
- عبد، محمد (ت1323هـ)، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي،
1966م.
- ابن عساكر (ت571هـ)، تاريخ دمشق الكبير، عناية العلامة أبي
عبد الله علي عاشور الجنوبي، 1421هـ-2001م، دار إحياء
التراث، بيروت، لبنان، ط1.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2011م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت170هـ)، العين: مرتباً على حروف
المعجم، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هندائي، 1424هـ-2003م،
دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الفيروز أبادي (ت817هـ)، القاموس المحيط، اعتنى به حسان عبد
المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ط1، 2004م.
- ابن قتيبة (ت276هـ)، تأويل مشكل القرآن، بشرح وتحقيق السيد أحمد
صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه،
(بدون تاريخ).
- ابن قدامة المقدسي (ت620هـ)، عبد الله، روضة الناظر وجنة
المناظر، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
- ابن قدامة المقدسي (ت620هـ)، عبد الله، تحريم النظر في كتب علم
الكلام، عالم الكتب، الرياض، ط1، 1410هـ-1990م.
- الكفوي (ت1094هـ)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات:
معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، اعتنى بمقابلة الكتاب
على نسخته الخطية وفهرسته وإعداده للطباعة عدنان درويش
ومحمد المصري، 1976م، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
- ابن منظور الإفريقي (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،
(بدون تاريخ).
- النجار، عبد المجيد، 2008م، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار
الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.
- النملة، علي بن إبراهيم، 1414هـ-1993م، الاستشراق في الأدبيات
العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،
السعودية، ط1.
- النووي، محي الدين (ت676هـ)، شرح صحيح مسلم، دار الخير،
دمشق، ط1، 1414هـ-1994م.

Intisar to Quran

*Souhad A. Kanbar**

ABSTRACT

Our scholars in the early centuries wrote in defending Quran and they put every possible effort to refute allegations about it and we can see this effort spread in their books these efforts need to be collected and rewritten in methodical consistent organized way to make it easy for contemporary scholars who work in refute claims and allegations about Quran to benefit from it. And maybe this will lead them to put rules and principles for refuting claims about Quran.

from this point of view this study came to put a methodological framework for defense of the holy Quran by defining the term (Al-Intisar to the Quran) and its legitimacy in the Islam, importance and history, then the study suggests ways to put rules for (Al-Intisar).

also this study aims to examine the connection between the science of rational theological discourse (Ilm-Alkalam) and (Al-Intisar for the holy Quran) because both of them are a defensive sciences and their objective is protecting and solidarity the Islamic nation and the Islamic religion.

Keywords: The Holy Quran, Al-Intistar to Quran.

* Faculty of Sharia, The University of Jordan, Amman. Received on 3/12/2013 and Accepted for Publication on 23/2/2014.